الآداب
المجلد:21، العــدد:01، ديسمبر 2021
الصفحات:503 - 522

تداوليّة القوة الإنجازيّة في قصيدة التّأشيرة للشّاعر هشام الجخ –نماذج المختارة–

The pragmatics of the illocutionary force in the poem The Visa by the poet Hisham Algakh -Selected models -

ط.د. نسيمة شاوش[1]

[1] جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1– الجزائر، nassima.chaouche@student.umc.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2021/08/15 **تاريخ القبول:** 2021/11/08 **تاريخ النشر:** 2021/12/15

ملخص:

سعينا في هذا المقال إلى تقديم دراسة تداولية، تستند على نظريّة الفعل الكلامي عند سيرل في تحليل بعض النّماذج الشعريّة من قصيدة التّأشيرة للشّاعر هشام الجخ؛ وذلك لإحاطة القارئ بالظّروف المقاميّة التي أُنجزت فيها هذه القصيدة والكشف عن المقاصد التّي أراد الشّاعر إيصالها عن طريق اللّغة.

وخلصنا في نهايته إلى جملة من النتائج أهمها:

– نظريّة سيرل، نظريّة مناسبة لتحليل مختلف أشكال التّعبير الإنساني؛ هذا لأنّها تهتم بمختلف مستويات الاستعمال اللّغوي وتبحث في المقاصد والمعاني؛ التي تجعل من القول حدثا تفاعليا.

– قصيدة التأشيرة قصيدة سياسيّة صوّر الشّاعر من خلالها حالة الشّتات التي يعانيها العالم العربي جرّاء أنظمة الحكم الفاشلة؛ معتمدا في ذلك على أسلوب الإضمار والتعبير الاستعاري، ما أهّلها لتكون مدونة مناسبة للتحليل التّداولي.

الكلمات المفتاحيّة: التّداوليّة، نظريّة أفعال الكلام، القصديّة، القوة الإنجازية، المقام، القصد.

Abstract:

In this article, we sought to present a pragmatic study, based on Searle's speech act theory, in analyzing some of the poetic models from the poem "The Visa" by the poet Hisham Al-Gakh in order to inform the reader of the situational

المؤلف المراسل: نسيمة شاوش.

conditions in which this poem was completed and to reveal the purposes that the poet wanted to convey through language.
In the end, we reached a number of results, the most important of which are:
Searle's theorem is a suitable theory for analyzing the various forms of human expression; This is because it is concerned with the various levels of linguistic use and examines the purposes and meanings and what makes the statement interactive event.
The visa poem is a political poem in which the poet portrayed the state of diaspora that the Arab world suffers due to the failing regimes relying on the method of inclusion and metaphorical expression, which have qualified it to be an appropriate record for pragmatic analysis.

Keywords: Pragmatics; the Speech act theory; Intentionality; Illocutionary Force Situation; Intentionnalité.

مقدّمة:

التّداولية اتجاه لساني حديث ينظر إلى اللّغة لا إلى كونها نظاما من القواعد؛ بل مجموعة من الأفعال الكلامية والقوى الإنّجازيّة التي تحدث تغييرا في الواقع عن طريق الكلمات، على اعتبار أنّ الكلام بنوعيه (نثر أو شعر) إنجاز أو حدث لغوي يقوم به الإنّسان في مقامات تداوليّة لتبليغ مقاصد معينة، تحُقق التّواصل بينه وبين أفراد الأطر الاجتماعيّة التي ينتمي إليها، وذلك بصورة صريحة تُفهم من المحتوى الحرفي للكلام أو ضمنيّة يُستدل عليها من الظّروف المحيطة بالخطاب المنجز.

وتعود فكرة الإنجاز والفعل الكلامي إلى نظريّة أفعال الكلام التي أرسى معالمها أوستين وطورها سيرل، الذي استغل مصطلح الإنجاز والقوى الإنجازيّة في دراسة الجانب التفاعلي للغة وهو الكلام متجاوزا المعنى الدّلالي الى التّداولي؛ ما أعطى للنّظرية بعدا إجرائيا يمكن اعتماده في تحليل مختلف أنواع الكلام النّثرية منها أو الشّعرية.

وعليه فإننّا نسعى في هذا المقال إلى تقديم دراسة تطبيقية تقوم على دراسة بعض النّمادج الشّعرية من قصيدة التّأشيرة دراسة تداوليّة، تستمدّ أدواتها الإجرائيّة ومفاهيمها من نظريّة الفعل الكلامي

عند سيرل، وذلك لمسايرة الدّراسات الحديثة؛ التي تعالج النّص الأدبيّ باعتباره خطابا له مرجعيّة ومقام، رغبة منّا في معرفة المقاصد التي يخفيها الشاعر خلف خطابه، انطلاقا من تحديد القوى الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة، وذلك من خلال معالجة إشكاليّة سؤالها الرئيس هو:

– كيف نقل الجخ مقاصده إلى المتلقي وما هي القوى الإنجازيّة التي أدّاها أثناء استعماله للّغة؟

حاولنا الإجابة عنها وفق منهجيّة علمية، ضمّت مقدمة وأربعة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى المناخ الفلسفي الذي نشأت داخله نظريّة الفعل الكلامي، وفي الثّاني ركّزنا على معالم هذه النّظريّة عند سيرل تحديدا؛ وذلك للاستفادة من نموذجه في تحليل قصيدة التّأشيرة، وفي الثّالث وقفنا عند مصطلح القوّة الإنّجازيّة باعتبارها أهم خاصية للمنطوق وأهم مصطلح داخل النظريّة برمّتها

أمّا المبحث الرابع فخُصّص للدّراسة التّطبيقيّة، قمنا فيه بتحليل بعض النّماذج الشّعريّة واستخراج ما تضمنته من قوى إنجازيّة.

1. المناخ الفلسفي الذي أنتج نظريّة أفعال الكلام:

مرّت نظريّة الفعل الكلامي بمحطّات هامّة قبل تأسيسها وضبطها على يد سيرل، إذ لاحت بوادر هذه النّظريّة مع فيتيغنشتاين الذي اهتمّ باللّغة العاديّة ودرسها في كتابه (أبحاث فلسفيّة)[1] ورأى بأنّ فهم معانيها راجع الى سياق استعمالها، نظرا لارتباط الدّلالة بمجموع الممارسات اللّغويّة أو باختصار (ألعاب اللّغة)[2].

يعني هذا أنّ اللّغة من منظوره لعبة يستخدمها الإنسان وفقا لحاجياته اليوميّة ما يجعل إمكانيّة تأويلها تأويلا واحدا، أمرا في غاية الصُّعوبة إنْ لم نقل مستحيلا.

ثمّ شهدت هذه النّظريّة محطة أخرى رسم معالمها أوستين الذي اهتم شأنه شأن فلاسفة اللّغة العاديّة بإبراز المقومات التي تخُص اللّغات الطّبيعيّة المرتبطة بالاستعمال والتّجارب الحياتيّة[3]، محاولا وضع نظريّة عامّة تحوي مجموع الممارسات اللّغويّة؛ منطلقا في ذلك من مصطلح الإنشاء في مقابل الخبر وذلك بعد أن لاحظ وجود جمل لا تصف ولا تخبر عن واقعة، وعكف في البداية على دراستها واضعا لها شروطا تُسهم في إنجازها إنجازا ناجحا، ثم عاد مجدّدا للجمل الخبرية وأدرك إمكانيّة

خضوعها لهذه الشروط وخلُص إلى نتيجة مفادها أنّ كلّ عبارة هي فعل كلامي[4]، وهذا الفعل في حدّ ذاته مكون من عدّة أقسام فرعيّة هي[5]:

– **فعل الكلام**: هو التّلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع، ويشمل:

- الفعل الصّوتي: يتجسّد عند إصدار الجهاز النّطقي لمجموعة من الأصّوات اللّغويّة عبر الهواء (أ ...)
- الفعل الكلامي: يتحقّق عند ضمّ الأصوات مع بعضها البعض؛ أيّ على شكل كلمة.
- الفعل الخطابي: هو الفعل الذي يحيل على معنى ومرجع معين دون وجود قرائن دالّة كعبارة: هو قال أنّ الجامعة في إضراب؛ التّي تحيل على معنى الإخبار، وعلى الذّات المخبِرة (هو) والمرجع (الجامعة).

– **قوة فعل الكلام**: هو ما تمّ إنجازه في الكلام حين التكلّم عن طريق قرائن دالّة (استفهام...).

– **لازم فعل الكلام**: يعني الآثار أو النّتائج المقصودة منها (الغضب، الاقتناع، الاستجابة...).

بعد أنْ بيّن أوستين أقسام الفعل الكلامي، أدرك أنّ أهم ما يميز الفعل الكلامي هو قوته مؤكّدا أنّ"ما تحتاج إليه هذه النّظريّة هو إيجاد قائمة لما نتلفظ به من قوى أفعال الكلام"[6]

وخلص إلى وضع قائمة تضم خمس مجموعات هي:[7]

– **القرارات التّشريعة**: تحوي كلّ الأفعال الخاصّة بالأحكام والقرارات الصّادرة عن جهة قضائيّة.

– **الممارسات التّشريعيّة**: تضمّ الأفعال المتعلّقة بالممارسات القانونيّة كالتّعيين والانتخاب...

– **ضروب الإباحة**: تضمّ هذه المجموعة، الأفعال التّي تعكس التزامات الشّخص اتجاه الآخر منها: التّعهدات الضّمانات، التّصريح، إعلان النيّة والقصد...

– **الأوضاع السّلوكيّة**: تضمّ كلّ الأفعال المتعلّقة بالسّلوك والأعراف منها: تقديم التّهاني، التّعزيّة...

– **المعروضات الموصوفة**: تشمل الأفعال المرتبطة بمقام العرض (النّقاش، الاحتجاج الإجابة...)

رغم محاولة أوستين تعميم هذه القائمة، إلاّ أنّه أقرّ بإمكانيّة ظهور حالات أخرى من أصناف أفعال الكلام[8]، ويرجع هذا الاعتراف –فيما نعتقد– إلى إدراكه بوجود بعض النّقائص في نظريّته العامّة خاصّة من حيث الضّبط المنهجي.

2. نظريّة الفعل الكلامي عند سيرل (أسسها ومفاهيمها):

انجذب سيرل إلى مفهوم الإنجاز الذي وضعه أوستين وحاول من خلال أبحاثه تعميق هذا المفهوم؛ معتبرا أنّ الكلام نوع من أنواع الفعل الإنساني المستخدم في التّواصل بين الأفراد؛ فحينما يصدر المتكلّم كلاما في موقف اعتيادي هو في الحقيقة يؤدي فعلا، يصدر حكما، يسأل سؤالا...[9]

انطلاقا من هذا التّصور باشر سيرل في تعديل نظريّة أستاذه؛ وذلك بإعادة تقسيم الفعل الكلامي ثم وضع شروط نجاحه وصولا إلى صياغة نموذج عام لأصناف الإنجاز الكلامي.

2. 1. تقسيم الفعل الكلامي: قسّم سيرل الفعل الكلامي في صورته الكليّة إلى:

– **الفعل الصّوتي**: يتحقق بمجرد خروج الأصوات عبر الهواء من أحد أعضاء الجهاز النّطقي ووصولها إلى أذن السّامع؛ أيّ أنّه لا يتعدى مجرد التّلفظ بكلمات أو الجمل.[10]

– **الفعل الإنجازي (التّمريري)**: هو وحدة المعنى في الاتصال، يتحقّق عندما يقصد شخص قول قولٍ معين ويقصد إيصاله إلى المستمع[11].

يعني هذا أنّ الفعل التّمريري؛ فعل إنجازي، قصدي يؤديه المتكلم بهدف تبليغ مقصد معيّن فعبارة (أُكتب الدّرس) مثلا تعكس فعلا إنجازيا، قصدَ المتكلم إصداره وقصدَ تبليغه لمتلقّيه، بهدف تحقيق أثر وهو الاستجابة لقصده الأساسي (كتابة الدّرس).

وقد قسّم هذا الفعل بدوره إلى:

- محتوى الفعل: هو القضيّة التّي يحويها الفعل الكلامي، أو هو الشّكل اللّساني الذي يحمل خبرا ويحيل على المرجع والخبر؛ أي الفحوى المتحدَّث به.[12]
- النّمط الذي يكون عليه الفعل: هو القوّة التأثيريّة أو الإنجازيّة التي يمتلكها الفعل، بعد إضافة مؤشر دالّ على الإنجاز، للمحتوى الخبري كإضافة الاستفهام أو فعل أمر...[13]

من هذا التّقسيم نفهم أنّ الفعل الكلامي يحدث تأثيرا عندما يضاف إليه نمط أو قوة تحقق سمته الإنجازيّة وهذه القوة يمكن أن تفصل عن محتواها الخبري أو يكتفى بها عند إنجاز الفعل الكلامي[14] فقولنا (عذرا) في مقام الاعتذار يعني أنّنا أدّينا فعلا كلاميا يحمل قوة تأثريّة فحسب؛ أي لا يحوي قضيّة أو محتوى خبري، أمّا قولنا (هل اعتنق هنسون الإسلام) فيعكس فعلا كلاميّا يحمل محتوى خبري (اعتناق هنسون للإسلام) وقوة تأثيريّة أو إنجازيّة، تُعبّر عن القصد من الكلام (الاستفهام).

– **الفعل التّأثيري**: هو مجموع النّتائج المترتّبة عن الأفعال الإنجازيّة كتنفيذ الأمر، الخوف... [15]

2.2. شروط نجاح الفعل الكلامي:

بعد تقسيم الفعل الكلامي انصرف سيرل إلى البحث عن الشّروط التي تسمح بإنجاز الفعل الكلامي إنجازا ناجحا، فلنجاح فعل الوعد مثلا لابدّ من توفّر أربعة شروط هي[16]:

– **الشّرط التّمهيدي**: ينصّ على إمكانيّة إنجاز الفعل (الوعد) من طرف المتكلم.

– **شرط النّزاهة**: ينصّ على قصد المتكلّم في القيام بالعمل؛ أي النيّة في تنفيذه مستقبلا.

– **شرط المحتوى الخبري**: ينصّ هذا الشّرط على أنّ المتكلم يسند العمل إلى السامع؛ أي الوعد فعل يلتزم فيه المتكلم بتنفيذ المحتوى الذي تضمّنه هذا الفعل في المستقبل.

– **الشّرط الأساسي**: هو أهم شروط تنفيذ الفعل؛ لأنّه يجمع ما يجب أن يكون في محتوى الفعل والسّياق ومقاصد المتكلم لإنجاز فعل كلامي معين بشكل لبق مناسب، أو ما يضع المتكلم أمام واجب القيام بالفعل؛ أي يشعره بواجب تنفيذه وإسناده إلى المستمع.

3.2. أصناف أفعال الكلام:

بحث سيرل في مفهوم القصديّة وعدّها مفهوما جوهريّا داخل نظريّة الفعل الكلامي؛ لأنّ القصديّة عنده تُمثل الطّريقة الخاصّة التي يتّسم بها العقل، أو هي العلاقة التي تربط العقل بالعالم الخارجي، وتتّصف بكونها تمثُّل يُؤدَّى عن طريق أفعال الكلام[17]، ما يجعلها شرطا ضروريّا لصدقيّة نمط الفعل الكلامي، فإذا وعد المتكلم بفعل (س) مثلا فهو يعبّر عن حالة قصديّة وهي القصد والنيّة في القيام بالفعل (س).

يعني أنّ الفعل الكلامي بطابعه اللّغوي مشتق من القصديّة؛ التي تتجلّى عبر صور وحالات متعدّدة منها القصد والرّغبة والاعتقاد وغيرها من الصّور التي تفرض غرضا معينا، واتجاه ملاءمة محدّد، يربط الكلمات بوصفها أفعالا و الواقع الخارجي[18]، وسعى من خلال هذا الطّرح إلى البحث عن علاقة القصديّة بالفعل الكلامي، ثم وضع نظريّة عامة تضمّ مختلف الحالات القصديّة المنجزة عن طريق الفعل الكلامي؛ وذلك بالنّظر إلى النّقطة التمّريريّة التي تميزه وهي "الغرض الذي يصير بفضله ذلك الفعل من ذلك النّوع"[19]، ساعيا حصر القوى الإنجازيّة التي تصبّ داخلها، وذلك على النّحو الآتي[20]:

– **الإثباتيات (التّقريريات)**: تمثل تعهد المتكلم بحقيقة الخبر الذي ينقله للمستمع، وتعكس اتجاه ملاءمة من الكلمات إلى العالم؛ لأنّ شرط الصّدق يمثل الاعتقاد بصحة المحتوي الخبري، تشمل هذه الفئة (الأوصاف الطبيّة، التّقرير، التّصنيف، التفسير...)، من أمثلة ذلك قولنا: غابات الجزائر تحترق.

– **التّوجيهيات (الأمريّات)**: الغرض الإنجازي في هذه الأفعال، هو دفع السامع وتوجيهه للقيام ببعض التّصرفات، وتشمل الأوامر والنّواهي...، التي تعكس رغبة المتكلم في الاستجابة للتّوجيه وجعل العالم مطابقا للمحتوى الخبري (الفعل)، من أمثلتها قولنا: لا تجالس رفيق السّوء.

– **الالزاميّات (الوعديّات)**: تشمل هذه النّقطة جلّ التّعهدات (النّذور، الوعود، التّهديدات...) التي يقصدها المتكلم ويلتزم فيها القيام بما حواه المحتوى الخبري للفعل مستقبلا، وفي هذه الفئة أيضا يُلائم العالم الكلمات، من أمثلة هذا النّوع قولنا: أعدكم بمعاقبة من أساء إلينا يوما.

– **التّعبيريات (البوحيات)**: هي نفسها الأفعال السّلوكية عند أوستين، وتشمل كلّ التّصرفات التي يصدرها المتكلم اتجاه الآخر، ما يميز هذا النّوع هو عدم وجود اتجاه ملاءمة، إذ يُكتفى بالتّسليم بحقيقة المحتوى الخبري مع ضرورة توفر شرط الصّدق في التّعبير؛ ففعل التّعزية مثلا يتطلب الصّدق في الشّعور بالحزن اتجاه المعزّى، والأمر عينه عند إنجاز أفعال مشابهة كالاعتذار أو الشّكر أو التّهنئة...

– **التّصريحيّات (الإيقاعيّات)**: تحدث الأفعال التي تنتمي إلى هذا الغرض تغيرا في العالم كإعلان الحروب أو الاستسلام أو التّلفظ بصيغة القبول أثناء عقود الزّواج أو إقالة موظّف، ما يميّز هذه الأفعال هو أنّ اتجاه الملاءمة مزدوج، أمّا عن شروط نجاح هذه الفئة فهو الآداء النّاجح مع ضرورة توفّر مؤسّسة خارج اللّغة، كضرورة توفر المحكمة لإنجاز فعل الطّلاق.

2. 4. الأفعال الكلاميّة غير المباشرة:

لم يقتصر بحث سيرل في حصر الأفعال الكلاميّة ذات القوى الإنجازية المباشرة ؛ بل تعمّق في المعنى و المقاصد حتى وصل إلى حقيقة وجود فرق بين معنى الجملة؛ أي دلالتها الشّكلية ومعنى المتّكلم؛ الذي يمثل المقصد الفعلي من الإنجاز، وذهب إلى القول بأنّ الكثير من المقاصد لا تُنقل بصورة مباشرة، بل تتمّ عن طريق الاستعارة والسّخريّة[21]؛ التي تنتُج عن طريق المفارقة، ما يجعل للفعل الكلامي الواحد معنييّن الأوّل صريح ذو قوة إنجازيّة حرفيّة والثّاني مضمر ذو قوة مستلزمة موضحا زعمه هذا بالمثال الآتي: هل تستطيع أنْ تمرّر لي الملح[22].

في هذا المثال الذي ينتمي إلى النّقطة التّمريريّة التّوجيهية قوّتين إنجازيتين، الأولى إنجازيّة تفيد الاستفهام، دلّت عليها الأداة (هل)، أمّا الثانيّة فمستلزمة تفيد معنى الالتماس؛ أُستدِلّ عليها من المعطيات المقاميّة (منها وجود الملّح على الطّاولة) والتّواضع الاجتماعي، المتمثّل في استخدام الاستفهام بدل الأمر، من باب التّأدب والتّقليل من حدة الأمر المباشر؛ الذي قد يقلّل فرصة استجابة المستمع، وعدم تحقّق الفعل التّأثري.

وحتى تتضح الفكرة أفضل نصوغ التّرسيمة الآتيّة:

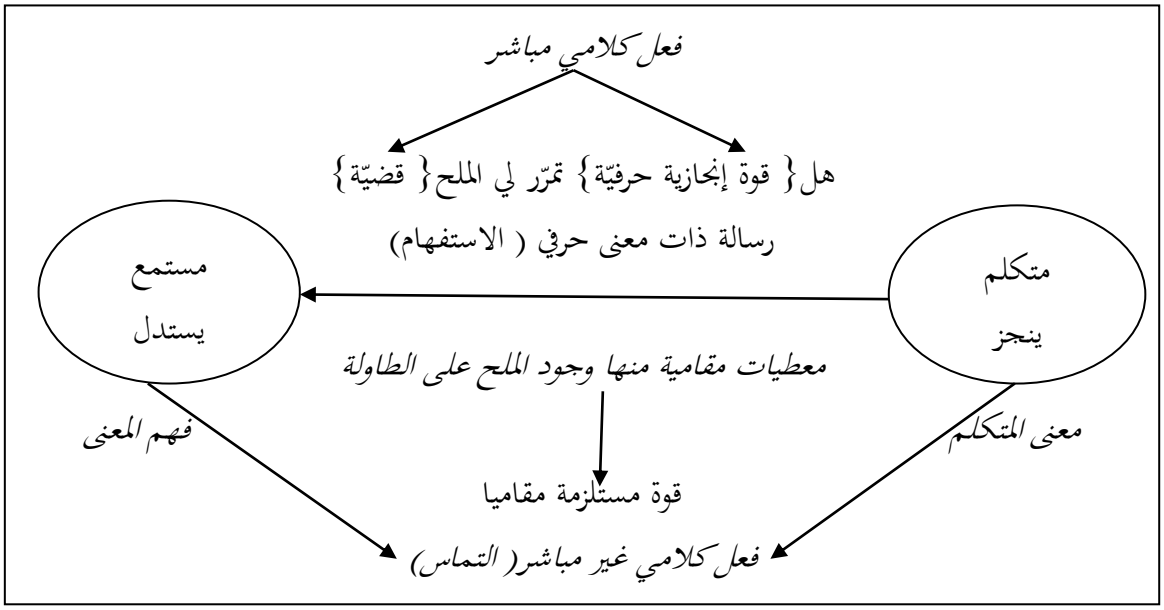

ترسيمة 01: كيفيّة حدوث الفعل الكلامي غير المباشر ودور المقام في فهمه.

توضّح هذه التّرسيمة تصوّر سيرل حول حقيقة أنّ المتكلم كثيرا ما يلجأ إلى الاستعارة والتّضمين في تبليغ مقاصده؛ وذلك مراعاةً للمكانة الاجتماعية وطبيعة العلاقة بينه وبين المستمع وكذا الزّمان والمكان الذي ينسج فيه الفعل الكلامي، كما توضَّح بأنّ اللّغة عنده ليست جملا ذات دلالات شكليّة، بل قوى إنجازيّة تعكس حالات قصديّة متعددة، تنقل من طرف المتكلّم في مقام معيّن عبر رسالة لغويّة يستقبلها المستمع وينظر فيها ثم يستدل على معانيها انطلاقا من الخبرة المشتركة والظروف المقاميّة التي أُنتجت فيها.

3. القوة الإنجازيّة مفهوم مركزي في التّحليل التّداولي:

يستند الفعل الكلامي في تحقيق سمته الإنجازيّة والتّداوليّة على القوة الإنجازيّة، لأنّ مجرد التّلفظ بها يحقّق الغاية من عملية التّكلم، لدى فهي تعدّ أهم أجزاء الفعل الكلامي كونها خاصيّة المنطوق التي تصبغه بصبغة إنجازيّة ذات أبعاد تأثيريّة؛ هذا لأنّ قيمة القوة الإنجازيّة تتجلّى في كونها تحيل

المستمع على المقصد من الإنجاز سواء داخل الغرض الإنجازي الواحد مثلما هو الحال في المثال السّابق (هل تستطيع أن تمرّر لي الملح) أو بين أغراض كلاميّة متباينة (توجيه، تصريح...)، كما أنّ التّصريح بها في ثنايا الملفوظ ذاته يُحتّم على المتكلّم الالتزام الكلّي بما أنجزه مثلما هو الحال في الفعل الكلامي الالزامي (أعدك بالقدوم غدا)[23].

وعليه فإنّ الأهميّة التي اتخذتها القوة الإنجازيّة داخل نظريّة أفعال الكلام سواء عند أوستين الذي صرح بأنّ نظريته تهدف إلى حصر ما نتلفّظ به من قوى أفعال الكلام، أو سيرل الذي أقرّ بأن بعض الأفعال قد لا تحتاج إلى قضيّة لتحقّق غايتها التواصليّة تدفعنا إلى القول بأنّ الخطاب هو مجموعة من القوى الإنجازيّة؛ ومنه فإنّ تحليل أي خطاب تحليلا تداوليّا يستدعي بالدّرجة الأولى استخراج ما تضمّنه من قوى، وما يؤكد هذا الزّعم هو رأي المتوكل الذي اقترح فيه استبدال ثنائية الفعل الكلامي(المباشر/ غير مباشر)، بثنائية (قوة إنجازيّة مباشرة غير مباشرة)[24] ؛ هذا لأنّ الفيصل في تحديد نوع الفعل راجع لقوّته، فمتى طابقت قوته البنية الظّاهرة سُمّي الفعل مباشرا ومتى خالفتها سمّي غير مباشر.

4. القوى الإنجازيّة في قصيدة التّأشيرة (دراسة تطبيقيّة):

قصيدة التّأشيرة (الرّسالة)، مثلما يوحي عنوانها؛ قصيدة ذات بعد سياسي كتبها الشّاعر هشام الجخّ (المرسل) وألقاها في مسابقة أمير الشعراء بأبو ضبي، سنة 2011م[25] (المقام)، متوجّها بها الى الحكّام العرب (المرسل إليه) تحديدا وإلى المتلقّي العربي عموما معبّرا فيها عن مقصد عام يعكس حسرته من الشّتات الذي يشهده العالم العربي ومستنكرا حكم الرؤساء العرب الظّالم؛ الذي فرّق شمل الأمة العربيّة نتيجة فرض الحدود وحرمان شعوبها من تأشيرة العبور.

إضافة إلى مقاصد أخرى سنحاول في هذا المبحث استجلاءها من خلال استخراج القوى الإنجازيّة المباشرة والمستلزمة مقاميا، حتى يتسنّى للمتلقّي فهم المعنى التّداولي وإزالة وشاح الغموض عن المعنى العام للخطاب.

4. 1.القوى الإنجازية المباشرة في القصيدة:

ضمّت القصيدة العديد من الأفعال ذات القوى المباشرة منها:

- **القوى الإنّجازيّة الدّالة الإثباتيات (التّقريريّات):**

أدّى الشّاعر أفعالا تقريريّة في مطلع القصيدة بكثرة، معتمدا في ذلك على قوى إنجازيّة صريحة نذكر منها قوله[26]:

- "أسبّح باسمك الله

وليس سواك أخشاه

وأعلم أنّ لي قدرا سألقاه سألقاه".

استهلّ الجخّ كما هو مبيّن كلامه بأفعال تقريريّة تمثل حقيقة يؤمن بها، معبرا عنها بقوى إنجازيّة مباشرة تتّسم بكثافة في تقديم اللاّقول دلّت عليها عدّة صيغ منها (الاستثناء بسوى، فعل اليقين أعلم، التّأكيد اللّفظي النّاتج عن التّكرار)؛ ما ولدّ شدّة ومضاعفة في الحمولة الإخباريّة المقدّمَة وظيفتها تأكيد اعتقاد الشاعر وعدم ترك مجال للشك حول حقيقة تخصيص الله بالعبوديّة والخشية دون سواه، وتثبيت يقينه وإيمانه التام بأقدار ربّه، . و يرمي من وراء إنجاز هذه الأفعال إلى تحقيق غرض تواصلي هو إعلام وتنبيههم (الحكام العرب تحديدا) إلى حقيقة معينة وهي أنّه لا يخشى على نفسه من تداعيات ما سيقوله في هذه القصيدة السّياسيّة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ البيت الأول من القصيدة قد يلتبس على القارئ بين غرضين أو نقطتين تمريريّتين هما النقطة التّصريحيّة (الإيقاعيات) والإثباتيّة (التّقريريات) خاصة وأنّ الفعل الأدائي الصّريح الذي يدل على القوّة الإنجازية التي تمثّل فعل التّسبيح يوحي بأن الجخّ بصدد إنشاء فعل تصريحي غير أنّ الخلفية أو الافتراضات التي نحملها عن الشاعر تؤكد بأنّه بصدد تقرير حقيقة وتأكيد اعتقاد خاصة وأنّ التّصريحيّات تعني إنشاء فعل لم يكن موجودا كأن ينطق بهذا الفعل متكلّم غير مسلم في مقام إعلان اعتناق الإسلام.

وفي قوله أيضا[27]:

– "وكنّا في مدارسنا نردّد بعض ألحان
بلاد العرب أوطاني وكل العرب إخواني
وكنا نرسم العربي ممشوقا بهامته"

في هذه الأبيات أيضا نلاحظ نفس الغرض الإنجازي التّقريري؛ لأنّ شاعر بصدد نقل ووصف حقيقة عاشها هو وشعبه في طفولتهم، تمثل تلك الشّعارات الزّائفة التي زرعتها المدرسة في كيس الطفل حول أصالة الرجل العربي ووحدة الأمّة العربيّة وما جعلنا نغلب هذا الغرض هو تظافر بعض القوى الإنجازيّة الصريحة منها الوصف والسرد الذي دلّت عليه الجملتين المنسوختين بكان.

وقد تعمّد الشّاعر الابتداء بهذه الأفعال المباشرة القائمة على السرد ليجذب القارئ ويضعه في الصّورة، خاصة وأنّه حافظ على نفس الغرض في الأبيات اللاّحقة مع إضافة بعض الصّيغ (العطف بالواو وأداة النّصب أنّ للتأكيد) التّي ضاعفت القوّة الإنّجازيّة الدّالة على الإخبار وزادت من كثافة وذلك في قوله[28]:* الحمولة الإخباريّة

– "وأنّ بلادنا تمتد من أقصى إلى أقصى
وأنّ جيوش أمتنا لها فعل كما السّيل"

– القوة الإنجازيّة الدّالة على التوجيهيات (الأمريات):

أنجز الشّاعر هذه الأفعال لينقل حالة قصدية (الرّغبة)، بهدف دفع الحكّام العرب لتغيير بعض السّياسات الفاشلة التي ينتهجونها، معبّرا عنها بقوى إنجازيّة مباشرة في بعض المواضع منها قوله:

– " هو الإسلام لا أنتم فكفّوا عن تجارتكم"[29]

في هذا البيت فعل كلامي مباشر ينتمي إلى التّوجيهيّات، قوّته الإنجازيّة هي الأمر، دلّ عليها المؤشّر اللّغوي (كفّوا)، وقد أنجز الشّاعر (المرسل) هذا الفعل رغبة منه في دفع الحكّام العرب إلى الاستجابة لأمره (الفعل التأثيري) والتّوقف عن متاجرتهم بالدّين وتكييفه وفق عقلياتهم السّاجدة لأنّ الشّعب العربي سيّد نفسه وأدرى بدينه، ويعود سبب تصريح الشّاعر برغبته واستخدام صيغة الأمر المباشر الذي غالبا ما يكون من شخص أعلى مكانة من المتلقي، إلى غضبه وسخطه من

الوضع الذي آلت اليه الأمة العربيّة، كما يوحي هذا التّصريح بغياب الألفة بين طرفي الرّسالة وبمدى شخصيّة الشّاعر (المتكلّم) المتحرّرة التي لا تخشى من يعلوها مقاما ومكانة.

وفي قوله أيضا:

– "أحذّركم سنبقى رغم فتنتكم

فهذا الشعب موصول"[30]

نلاحظ أيضا فعلا توجيهيا قوتة الإنجازيّة هي التّحذير، دلّ عليها الفعل الأدائي (احذر)، وجه الشّاعر من خلال إنجازه تحذيرا صريحا، شديد اللّهجة للحكام العرب الذين يصرّون على رسم الحدود وتعميق الشّرخ والشّتات بين البلدان العربيّة، وقد قال الجخ هذا البيت في أواخر القصيدة تحديدا ليؤكد لهؤلاء بأنّ الشّعب العربي شعب لا تؤثر فيه الفتن والمؤامرات فهو شعب متلاحم جمعه حبل الله وهو الإسلام.

وفي قوله أيضا:

– "أيا حكام أمّتنا"[31]

نستشفّ فعلا توجيهيا آخر، ذو قوة إنجازيّة مباشرة هي النّداء (الهمزة والياء)، صرّح فيه الشّاعر عن المقصود من خطابه وهم الحكّام العرب وبأنّ عتابه موجّه لهم دون غيرهم، حتى ينبّههم إلى حجم أغلاطهم والرّغبة منه إلى التفات هؤلاء وسماع نداء الشعوب العربيّة اليائسة التي تعاني الشّتات جرّاء خداعهم ومؤامراتهم وصراعاتهم السياسيّة العقيمة.

– القوة الإنجازيّة الدّالة على التّعبيريّات (البوحيّات):

لم ينجز الجخّ هذه الأفعال بصورة مباشرة، إلاّ في مواضع قليلة جدّا نذكر منها قوله:

– "سئمنا من تشتّتنا وكل الناس تتكتّل"[32].

الذي أنجز من خلاله فعلا تعبيريا ذو قوة إنجازيّة صريحة دلّ عليها الفعل الأدائي (سئمنا)؛ عبّر فيه عن حالة شعوريّة وهيّ الرّفض واليأس من الحصار الجغرافي الذي يعيشه العالم العربي، فما يلاحظ في هذا البيت هو أنّ الجخ لا يحاول إثبات اعتقاد أو تقديم نيّة أو إعلان قصد، أو خلق واقع

مؤسّساتي بل يعبّر بلسان أمّته عن حالة الملل والتّذمر التي يكابدها الشّعب العربي نتيجة اعتلاء شخصيات غير مناسبة هرم القيادة.

4. 2. القوى الإنجازية المستلزمة في القصيدة:

عبّر الشّاعر في قصيدته عن بعض الحالات القصديّة بأفعال كلاميّة ذات قوى إنجازية مستلزمة مقاميّا، وهو ما استخلصناه في مواضع عدة نذكر منها قوله:

-" وحين كبرت لم أحصل على تأشيرة

- للبحر لم أعبر"[33].

توحي البنية الشكلية هنا والقوة الإنجازية المباشرة التي دلت عليها أداة الجزم (لم) بوجود فعل كلامي تقريري يفيد نفي حقيقة وهي عدم تمكّن الشّاعر من الحصول على التّأشيرة أو الإبحار غير أنّ المقصد الحقيقي للشّاعر يختلف تماما، فالجحّ لا يخبر هنا؛ بل يعبّر عن حالة شعوريّة تعكس حسرته وحزنه وخيبة آماله التي حلم بها في طفولته و نقلها في قوله مثلا " سأبحر عندما أكبر" وما جعلنا نرجح هذا الغرض ونلتمس وجود قوة إنجازية مستلزمة مقاميا (حالة العالم العربي الذي يعاني شعبه من صعوبة في التنقل بحرية)؛ بل وصعوبة في الحصول على تأشيرة عبور أو دخول.

وهو ما التمسناه في مواضع أخرى أيضا، نذكر منها قوله:

- "ألستم من نشأنا في مدارسكم؟"

- "تعلمنا مناهجكم؟"

- "لماذا الفرقة الحمقاء تحكمنا؟"

- "أتجمعنا يد الله وتفرقنا يد الفيفا؟"[34].

تحوي هذه الأبيات قوى إنّجازية مباشرة تنعكس في البنية الشّكلية للعبارة، وهي الاستفهام الذي دلّت عليه جملة من المؤشرات منها (الهمزة، اسم الاستفهام لماذا) وعلامة الاستفهام (؟)

ما يصنف الفعل في فئة الأفعال التّوجيهية، غير أنّ عدم اشتراك المتكلّم والمتلقّي في المقام نفسه يؤكّد وجود قوّة إنجازية مستلزمة تصنّف الفعل في التّعبيريات وتؤكد بأنّ الشاعر هنا يعاتب ويتحسّر ويستغرب من الأشياء السّخيفة التي بات بمقدورها تفريق ما وحده الله عزّ وجل.

وفي قوله:

– "لماذا تحجبون الشّمس بالأعلام"[35].

نلاحظ وجود فعلين كلاميّين، الأوّل مباشر، قوّته (الاستفهام)، دلّ عليها اسم الاستفهام (لماذا) والثّاني غير مباشر، قوته مستلزمة مقاميّا وهي الاستنكار.

وما يُلاحَظ أيضا، الاستخدام الاستعاري الذي لجأ إليه الشّاعر، والذي لم يقصد به الشّمس بمفهومها المتعارف عليه، بل يقصد الحرية والوحدة العربية التي شتّتها أصحاب السّلطة.

وفي قوله:

–"سأبحر عندما أكبر

– أمر بشاطئ البحرين في ليبيا

– وأجني الثمر من بغداد في سوريا

– وأعبر من موريتانيا إلى السودان

– أسافر عبر مقديشيو إلى لبنان"[36].

إذ نلاحظ مبدئيّا أنّ الشاعر في هذه الأبيات المتسقة شكلا ومنسجمة دلاليّا وتداوليّا، يحاول نقل اعتقاد والإخبار عن غاية كان يسعى إلى بلوغها مستقبلا، و يريد تقريرها إلى المتلقي وذلك من خلال القوة الإنجازية (التّقرير) الذي دلّت عليها (السّين الدالة على المستقبل، الفعل أبحر، أعبر أجني، أسافر)، غير أنّ المقصد العام من القصيدة والمقام الذي قيلت فيه، يؤكد بأنّ المعنى الحرفي للجملة يختلف ومعنى المتكلم، ويجزم بأنّ الأبيات تضمّ قوة مستلزمة وهي الوعيد، التي وجّه الجخ من خلالها تهديدا للحكام العرب، أمّا عن التّعبير الاستعاري الذي جسّده قوله (وأجني الثمر من بغداد في سوريا) فيحمل مقاصد أخرى تعكس رغبته في تقريب المسافات بين الشعوب العربيّة

والذي عبّر عنه في مواضع كثيرة غير هذه منها قوله:

– "سيبقى الطفل في صدري يعاديكم يقاضيكم

– ويعلن شعبنا العربيّ متحدا

– فلا السودان منقسم ولا الجولان محتل

– ولا لبنان منكسر يداوي الجرح منفردا"[37].

خاتمة:

بعد عرض بعض النّماذج الشّعرية من قصيدة التّأشيرة وتحليلها تحليلا تداوليّا، خلصنا إلى جملة من النّتائج أهمّها:

– يعود سبب كثرة الأفعال التّقريرية المباشرة في مطلع القصيدة؛ إلى رغبة الشّاعر في وضع المتلقّي أمام الصّورة وإطلاعه على المبادئ التي تلقاها في صغره معتمدا في ذلك على السّرد الذي أسهم بشكل فعّال في تحقيق الغاية التّداوليّة ولفت انتباه المتلقّي.

– لجأ الجحّ إلى أسلوب التّلميح والتّعبير الاستعاري بكثرة وأنجز العديد من أفعال الكلامية غير المباشرة بهدف تقريب الصّورة إلى ذهن المتلقّي والتّعبير عن العديد من المقاصد والحالات منها رغبته في لمّ شمل العالم العربي وتطييب جروحه وانكساراته، إضافة نقل حالة شعورية امتزجت بين الحزن والتّحسر واليأس والخيبة وغيرها من الحالات التي حاول الشّاعر عدم إنجازها مباشرة حرصا منه على الظهور بشخصية متفائلة.

– نقل الشّاعر من خلال اللّغة والأفعال الكلامية العديد من الحالات القصدية منها الرغبة والقصد وعبّر عن بعض الحالات الشّعورية (منها الحزن، اليأس، التّحسر، والخيبة الاستغراب...) تلميحا أي دون التّصريح بالقوى الإنّجازية التي تمثلها، انعكاسا لشخصيته التي تميل –نوعا ما– الى الصّلابة وحرصا منه على عدم الظهور في حالة ضعف؛ خاصة وأنّ القصيدة سياسية، موجّهة إلى الحكام.

– صرّح الشّاعر عن مقاصده الحقيقيّة في بعض المواضع؛ وذلك تبعا لطبيعة علاقته بالمتلقي وكذا انفعالاته؛ ففي قوله: (كفّوا عن تجارتكم، سئمنا من تشتّتنا، أحذركم...)، إذ صرّح بالقوّة الإنجازية وغرضه الكلامي مباشرة ليفرغ شحنة الغضب التي يشعر بها وليظهر عدم ألفته اتجاه متلقّي الخطاب

– لم يصرّح الشّاعر بالحالة القصديّة المتمثّلة في القصد؛ بل أنجزها عن طريق أفعال غير مباشرة أو مستلزمة مقاميا؛ إذ أنّ أغلب هذه الأفعال تجلّت في صورة أفعال تقريرية مثلما هو الحال في الوعد الذي أُضمر نتيجة تردّد الجخ وعدم تيقّنه من تحقيقه؛ خاصّة وأنّ التّصريح بالالتزام أو الوعيد يضع المتكلم أمام حتميّة تنفيذ الفعل، وهو أمر صعب، إن لم نقل مستحيلا بالنسبة للشّاعر؛ ذلك إذا نظرنا إلى المقام والظّروف السّائدة، وهو ما اعترف به الجخّ نفسه حين قال: (وحين كبرت لم أحصل على تأشيرة... لم أبحر).

– أكثر الشّاعر من استخدام الاستفهام؛ ولكن في غير الغرض التّداولي المعتاد (التّوجيه)، ويعود اعتماد هذا الأسلوب بالذّات، إلى كثرة استخدامه في التّواصل الانّساني، إمّا إظهارا للتأدّب والاحترام أو في مقامات السخريّة والاستغراب.

– من اللاّفت في قصيدة التأشيرة، غياب الأفعال الكلامية التّصريحية أو الإيقاعيّة، وذلك بسبب خصوصيّة هذه الأفعال؛ إذ أنّ تأديتها ونجاحها يتطلّب التّواجد في ظروف مقاميّة فعليّة وكذا توفّر مؤسّسة خارج اللّغة؛ فالمتكلّم بهذه الأفعال يهدف إلى تغيير العالم واستحداث حالة لم تكن موجودة من قبل كإعلانه قبول الزواج في مقام فعلي يظمّ الولي والشّهود.

الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: الزواوي بغّورة، الفلسفة واللّغة (نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة)، دار الطّليعة، ط1، بيروت، 2005م ص101، وينظر أيضا: صلاح إسماعيل عبد الحقّ، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التّنوير، ط1، بيروت، 1993م ص13.

[2] ينظر: الجيلالي دلّاش، مدخل الى اللّسانيات التداوليّة لطلبة معاهد اللّغة العربيّة وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط1، الجزائر، 1983م، 18.

[3] ينظر: حسان الباهي، اللّغة والمنطق بحث في المفارقات، دار الأمان، ط1، الرباط، 2000م، ص 50.

[4] ينظر: أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء باللّغة)، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا لشرق، دار البيضاء 1961م، ص 14، 16، 33.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص 115، 116، 120، 131.

[6] المصدر نفسه، ص 173.

[7] ينظر: المصدر نفسه، ص 175.

[8] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[9] ينظر جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، دار العربيّة للعلوم، ط1، بيروت، 2006م ص200.

[10] ينظر: المصدر نفسه، ص 200، 201، وينظر أيضا: الجيلالي دلاش، مدخل الى اللّسانيات التّداوليّة، ص26.

[11] ينظر: جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ص 202، 203.

[12] ينظر المصدر نفسه، ص 204، وينظر أيضا محمد أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة ط1، 2002م، ص72.

[13] ينظر جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ص 204.

[14] ينظر: جون سيرل القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009م، ص28.

[15] ينظر: جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ص 204.

[16] ينظر: جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، الدار العربيّة للعلوم، ط1، 2010م، ص86، وينظر أيضا: فيليب بلانشيه التّداولية من أوستين الى غوفمان، تر: صابر لحبايشة، دار الحوار، ط1، اللاذقية، 2007م، ص 70، 71.

[17] ينظر: جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ص15، وينظر كتابه أيضا: القصديّة، ص 26.

[18] ينظر جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ص 149، 151، 155، 216.

[19] المصدر نفسه، ص 215.

[20] ينظر: المصدر نفسه، ص 217، 218، 219، 220.

[21] ينظر: المصدر نفسه، ص 221، وينظر: كتابه، القصديّة، 434، وينظر أيضا: وليد حسن، دلالة الإقتضاء عند الأصوليّين في ضوء نظريّة التّضمين عند جرايس، مجلة الدراسات اللّغويّة والأدبيّة، 2010م، العدد الثاني، ص 13.

[22] ينظر جون، سيرل العقل واللّغة والمجتمع، ص 221.

[23] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، دار الكتاب الجديدة، ط1، بيروت 2000م، ص 135، 136، وينظر أيضا: محمد العيد، تعديل القوّة الإنجازيّة، مقال منشور ضمن كتاب حافظ إسماعيلي علوي دار الكتاب الجديدة، إربد (الأردن)، 2011م، ص 314.

[24] ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة (دراسة في الوظيفة والبنيّة والنمط)، الدار العربيّة للعلوم، ط1، بيروت 2010 م، ص 61.

[25] ينظر: هشام الجخ، عن هويس الشعر العربي، الموقع الرسمي للشاعر:www.algakh.com ، 31 جانفي، سا 15:13.

[26] منتدى مجلة الابتسامة، هويس الشعر العربي هشام الجخ، رابطة محبي الشّعر العربي، ص113.

[27] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[28] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[*] عبّر سيرل عن مصطلح الحمولة الإخباريّة بمصطلح الكثافة في تقديم اللاّقول؛ أي إضافة صيغ تزيد من إبراز السّمة الإنجازيّة للفعل، مستدلّا في ذلك بالمثالين الآتيين: افتح الباب/ آمرك بفتح الباب، معتبرا أنّ المثال الأخير يحمل كثافة إنجازيّة أكثر نتجت عن إضافة فعل أدائي صريح، ينظر: فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص 73.

[29] المرجع نفسه، ص116.

[30] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[31] المرجع نفسه، ص 115.

[32] المرجع نفسه، ص 116.

[33] المرجع نفسه، ص 114.

[34] لمرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[35] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[36] المرجع نفسه، 13.

[37] المرجع نقسه، ص 115.

– قائمة المصادر والمراجع:

– الكتب:

1- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة (دراسة في الوظيفة والبنيّة والنمط)، الدار العربيّة للعلوم، ط1، بيروت 2010م.

2- أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء باللّغة)، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشّرق، الدار البيضاء 1961م.

3- جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، الدار العربيّة للعلوم، ط1، 2010م.

4- جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، دار العربيّة للعلوم، ط1، بيروت، 2006م.

5- جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009م.

6- الجيلالي دلاش، مدخل الى اللّسانيات التّداوليّة لطلبة معاهد اللّغة العربيّة وأدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة ط1، الجزائر، 1983م.

7- حسان الباهي، اللّغة والمنطق، (بحث في المفارقات)، دار الأمان، ط1، الرباط، 2000م.

8- الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة (نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة)، دار الطليعة ط1، بيروت، 2005م.

9- صلاح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التّنوير، ط1، بيروت 1993م.
10- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، دار الكتاب الجديدة، ط1، بيروت، 2000م.
11- فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين الى غوفمان، تر: صابر الحبايشة،، دار الحوار، ط1، اللاذقية، 2007م.
12- محمد أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط1 2002م.

- المقالات والمجلات:

1- محمد العيد، تعديل القوّة الإنجازيّة، مقال منشور ضمن كتاب حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديدة، إربد، 2011م.
2- منتدى مجلة الابتسامة، هويس الشعر العربي هشام الجخ، رابطة محبي الشّعر العربي.
3- وليد حسن، دلالة الإقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظريّة التضمين عند جرايس، مجلة الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة، 2010م، العدد الثاني.

- المواقع الإلكترونيّة:

1- هشام الجخّ، عن هويس الشعر العربي (الموقع الرسمي للشاعر)، الموقع الرسمي للشاعر:www.algakh.com ، 31 جانفي 15:13.